صندوق الزكاة والصدقات بمملكة البحرين
بالتعاون مع مركزي لندن وكمبريدج للبحوث والتدريب
ومجموعة الرقابة للاستشارات الشرعية والمالية

المؤتمر الدولي:
تفعيل الدور الحضاري لفريضة الزكاة
في واقع المجتمعات المعاصرة

بحث:

دور الزكاة في مواجهة الكوارث والأزمات

وأثر ذلك في الحدّ من آثارها

دراسة : تأصيلية

المحور الرابع: الاجتماعي فرع: (7)

يقدمها: محمد عبدالجبار الزين

ماجستير شريعة– تخصص حديث شريف

(طالب دكتوراة– الجامعة الأردنية)

(رئيس قسم في مديرية الدراسات والبحوث والتوثق–الأوقاف الأردنية)

إعلامي وباحث شرعي– أكاديمي

إيميل:Agaweed2007@yahoo.com

هاتف رقم: (٠٠٩٦٢٧٩٩٣٥٤٣٥٠)

تاريخ الفعالية: من: ١٥ إلى: ١٧/ أكتوبر ٢٠١٩م.

المقدمة:

الحمدُ لله على تمام إنعامِه، والشكرُ له على تفضّله وإكرامِهِ، والصلَاة والسلامُ الأَكملان الأَتمَّان، على سيّد المرسلين وإمام المتقين، سيّدنا وحبيبنا محمد بن عبدالله، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فأعمارُنا هي مادة البناء التي أمرنا اللهُ أن نعمرَ بها الحياةَ الدنيا بعبادة الله، التي هي المبتدأ والمنتهى، ويأتي الإحسان إلى الآخرين بالكلمة الطيبة وبالصدقة المادية، في أعلى مراتب العبادة. والإحسان أكبر معين على العبادة في الإسلام.والزكاة ركنا من أركان الإسلام وهي البوابة الأوسع للإحسان، وبها يسد رمق الكثيرين من المعوزين كحق لهم عند إخوانهم الأغنياء، ولها أثر بالغ في حالات الكوارث والنكبات، من الحوادث المفاجئة: كالزلازل والفيضانات ونحوها من كوارث الطبيعة، أو مما تسببه النزاعات البشرية من حروب دموية.

وهذه الدراسة: (دور الزكاة في مواجهة الكوارث والأزمات وأثر ذلك في الحدّ من آثارها). ضمن المشاركة في المؤتمر الدولي: (تفعيل الدور الحضاري لفريضة الزكاة في واقع المجتمعات المعاصرة). الذي يقيمه: صندوق الزكاة والصدقات بمملكة البحرين، بالتعاون مع: مركزي: لندن وكمبريدج للبحوث والتدريب، ومجموعة الرقابة للإستشارات الشرعية والمالية.

والباحث إذ يرجو من الله تعالى، أن يقدم من خلال هذه الدراسة ما هو مفيد في بيان أهمية الزكاة في درء الكثير مما تعقبه الكوارث، إضافة إلى فتح الأفق أمام دراسة فريضة الزكاة، كواحدة من السمات الإنسانية العالمية، مما يعطي انطباعا مناسبا عن الإسلام وأهله.

التمهيد:

من المسلمات بأنّ حدوث الكوارث من لوازم الحياة، ولا يمنع تلك الكوارث شيء. سوى أنّ تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان بشكل فرديّ، أو مجتمعيّ، يحد من الآثار الجانبية لتلك الكوارث، وإذا كانت الناحية المعنوية لمن أصيب بالكارثة تكون أشدّ وطئا من الناحية المادية، فإن الموقف الإنسانيّ ولو بأقل القليل، يعتبر الدواء الناجع لما تسببه تلك الكوارث. وجاءت هذه الدراسة لتبرهن على دور الزكاة في علاج شتى المواقف ذات الارتباط الماديّ، حيث إن الكوارث لا تعدو أن تكون الآليات، والعلاج والإشراف الطبي وتأمين المسكن والغذاء وغير ذلك مما يستلزم الدعم المادي، حيث يمكن للزكاة أن تكون حاضرة لتأمين اللازم، وبيان ذلك بالآتي:

أهمية البحث:

- ❖ توظيف العلم الشرعي في تفعيل دور الزكاة في الحد من آثار الكوارث الطبيعية وغيرها.
- ❖ بيان أوجه الإسلام المشرقة في إدارة الأزمات واستنباط الحلول من خلال النصوص الشرعية.
- ❖ توضيح كيفية المساعدة في حالات الكوارث كواجب إنساني تعتبر الزكاة واحدة من أهم وجوهه.
- ❖ الوقوف على النهج الميداني لأعمال القائمين على جمع وصرف الزكاة وأثر ذلك في الملمات والكوارث.

الدراسات السابقة:

حسبَ اطلاع الباحث، لا يوجود دراسات سابقة تقرن الزكاة بالكوارث. إلا أن هناك أبحاث قريبة، منها:

١) الصوري، السيد علي أحمد: (أصول الأمن الغذائي في القرآن والسنّة) تكلم فيه عن كارثة تهديد الأمن الغذائي، وضرورة إشراك أهل الرأي في الوقوف أمام الهوة بين الإنتاج والاستهلاك، خصوصا في الوطن العربي. وأن الزكاة تحرس الدين والدنيا ويمكن من خلالها تحسين الزراعة والإنتاج.

٢) إدارة الأزمات والكوارث في التعليم، إعداد قسم أصول التربية جامعة دمنهور كلية التربية قسم أصول التربية. وقد تناول الأزمات والخطط الممكنة لتفاديها، والتعرض للزكاة أنها داعم لتلك الخطط.

مشكلة الدراسة:

- هل الكوارث بأنواعها يمكن منعها من بني الإنسان؟
- هل يمكن للإيمان بالله أن يكون مانعًا من تفاقم تلك الكوارث وبالتالي الحدّ من آثارها؟
- هل يمكن التخفيف من الآثار الواقعة وتفادي جزءًا من عواقبها من خلال الزكاة؟
- هل تؤدى للمنكوبين دون النظر إلى دين أو عرق؟ وما أثر ذلك في العلاقات الدولية أمام العالم؟

أسئلة الدراسة:

- كيف يمكن للشريعة الإسلامية التقليل من الأخطار البيئية؟
- من أين يمكن لعلماء الشريعة البدء في معالجة النصوص لمعالجة الواقع والوقائع؟
- من هم العلماء الأكثر تأثيرًا على النفوس وعلى القرارات في فترة ما بعد الكارثة؟
- هل توافرت النصوص الشرعية لمناقشة الظواهر البيئية؟
- كيف يمكننا استخلاص التوصيات من خلال النصوص لإفادة البشرية بها؟

أهداف الدراسة:

- تتمثل أهم أهداف الدراسة، بما يلي:
- بيان موقف علماء الشريعة الإيجابي من خلال تفعيل دور الزكاة مع القضايا العامة الإنسانية.
- تقريب مفهوم التكافل الإنساني من خلال وحدة الحال التي يمكن أن يتعرض إليها عموم الناس، مما يزيد التواصل بين أمة الإسلام والأمم الأخرى في واحدة من أبواب الحوار، وأبواب الدعوة إلى الله تعالى.
- إبراز اهتمام الشريعة الإسلامية بالظواهر والكوارث، وتعاملها بواقعية من خلال الزكاة والصدقات

منهجية البحث: بعون الله تعالى استعنت بأكثر من منهج من مناهج البحث المتعارف عليها، ومن أهمها:

أولا: المنهج الاستقرائي: تتبعت آثار العلم الشرعي وعلماء الشريعة في بناء الحضارة الإسلامية، ودونت ما يصلح للاستدلال على صحة الدعوى والحكم.

ثانيا: المنهج الاستنباطي: في الاستشهاد بالنصوص الشرعية وأقوال العلماء المعتبرين في الفتوى، والترجيح بين تلك الأقوال، إن لزم الأمر إما بترجيح العلماء أو بإبداء الرأي من الباحث ما أمكن.

ملخص الدراسة:

جعل الله الزكاة ركنا من أركان الإسلام، ومن عجائبها أنها تنمي المال وتزيده ولا تنقصه وهو أمر لا يعرفه إلا من أدى الزكاة بنفس طيبة، وتعطى الزكاة لأصناف من الناس يحتاجونها وهي حقّ لهم.

وللزكاة دور في بناء المجتمع وتماسكه أمام ضيق الحياة، ومن هنا يكون لها دور أكيد في الحدّ من آثار الكوارث بأنواعها، حيث يمكننا بأموال الزكاة إعادة إعمار الإنسان والأرض في كل الأحوال والظروف.

ومبدأ الزكاة إنسانيّ وهو أكثر من أن ندفع مالا لإنسان يشتري به ما يسدّ حاجته فحسب، فهي عنوان التراحم بين الناس، ودليل على عالمية الدين الإسلامي، كما أنّها مانعة لنزول الكوارث، لأنّ الله يرحم عباده وهم يتراحمون ويزكون وينفقون.

وقد تناولتْ النصوصُ الشرعيةِ بيان حقيقة الزكاة. وجاءت هذه الدراسة: (دور الزكاة في مواجهة الكوارث والأزمات وأثر ذلك في الحدّ من آثارها) لتلقي الضوء على جهود القائمين على الزكاة في شتى بلدان العالم الإسلامي، وعلى دور الزكاة الذي أصبح يحقق التكافل المجتمعيّ، ويؤدي إلى إزالة آثار النكبات النفسية والمادية للكوارث، ويحقق معاني الإعمار، ويرفع كفاءة الإستثمار، وينعش البلاد ويقلل من الخلافات والنزاعات.

Summary of the study:

Allah Made Zakat a pillar of Islam, and one of its wonders it develops money and doesn't decrease it and is known only from the alms has the same good, and give Zakat to the varieties of people that need it and are right for them.

And the role of Zakat in community building and cohesion before narrow life, From here it has a definite role in conflict reduction, where we can use zakat funds to reconstruct humanities and land in all situations and circumstances.

The principal of Zakat is Humane and it is more than to pay more to buy a person's needs, it is a title of compassion among people, and evidence of universal religion that is Islam, as it prevents emission of Conflicts, because Allah have mercy to who have given it and spent it.

Sharia texts had addressed a statement of fact. This study: (the role of Zakat in crisis eversion and its impact on reducing their effects) to highlight the efforts of Zakat based in various countries of the Islamic world, and the role of Zakat, which has become to achieve communal and removes the effects of psychological and physical afflictions, and achieves Meanings of the rebuilding, raise investment efficiency, refreshes and reduces country differences and disputes.

وقد جاءت هذه الدراسة البحثية حسب الخطة التالية:

خطة البحث:

المبحث الأوّل : التعريفات بالكوارث الطبيعية من منظور شرعي:

المطلب الأول: التعريفات اللغوية والاصطلاحية

المطلب الثاني: التعريف بالكوارث من منظور شرعي:

المطلب الثالث: خطورة الكوارث والأزمات في البناء الإنساني –الجهود الأندونيسية أنموذجا–:

المبحث الثاني : شمولية الزكاة وأهميتها في مواجهة الكوارث والحدّ من خطورة آثارها:

المطلب الأول: خطورة الكوارث والأزمات في زعزعة البناء الإنساني:

المطلب الثاني: دور الزكاة في مبدأ التراحم وأثر ذلك في منع الكوارث:

المطلب الثالث: موقف علماء الشريعة من التنبؤات بالكوارث والأزمات وكيفية بناء الفكرة الوقائية لها:

المطلب الرابع: النصوص الشرعية للحدّ من حدوث الكوارث أو تفاقم سلبياتها:

المبحث الثالث: أنواع الكوارث والأزمات والإجراءات الشرعية تجاهها:

المطلب الأول: أهمية دراسة الكوارث من الناحية النظرية التحليلية

المطلب الثاني: التأصيلات الشرعية لمواجهة الكوارث –الزكاة أنموذجا–

المطلب الثالث: أثر الضوابط الشرعية في منع الصناعات الثقيلة من كورثة الأرض

المبحث الرابع: دور الزكاة في مراحل مواجهة الكوارث والأزمات:

المطلب الأول: منهج الإسلام في ضمان جودة الإنتاجية

المطلب الثاني: جهود الزكاة في مواجهة الكوارث التي تؤثر على الناحية المادية

المطلب الثالث: الزكاة في مواجهة الكوارث التي تؤثر على الناحية المادية: –جهود دائرة الزكاة الأردنية، أنموجا–:

المبحث الأوّل : التعريفات بالكوارث الطبيعية من منظور شرعي:

تمهيد:

الكوارث بعمومها، تحتاج إلى جهودٍ بشريّة مشتركة لتفادي وقوعها. وإنْ هي وقعت، فإنها أيضًا تحتاج منا جهودا لتفادي الخسائر الناجمة عنها. كما ويتوجب أن يعقُب ذلك جهود مادّية ومعنوية للحدّ من آثارها، حيث يمكن أن تتشكل من آثار الكارثة خطورة أكبر من الكارثة نفسها. والتعريفات توضح معالم تلك الجهود. كما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التعريفات اللغوية والاصطلاحية:

إنّ العناية بالتعريفات، والوقوف على العديد من المعاني على نَسَقٍ واحد، يؤدي إلى المنظورَ الواسع بين يديْ القارئ فالاعتناء بالتعريفات يُثرى البحث، ويقف بالمطالعين على البوابة الأولى، للموضوع.

ومن هنا سيطرح الباحث المسائل التالية:

المسألة الأولى: الكارِثَةُ لغةً: جاء في لسان العرب: (كَرَثَ: كَرَثَهُ الأمرُ، يكرِثُه ويكرُثُه كَرثًا، وأكرثه: ساءَه واشتدَّ عليه، وبلغ منه المشقة)[1]. وقد تكون كلمة: (الكارثة)، فيها من المعاني المتعددة، لأنها ترتبط بحياة الأفراد والمجتمعات والأمم، وبالزمان والمكان. لذلك أخذت العديد من المعاني والمرادفات، ومن ذلك: (آفَة ؛ بَلِيّة ؛ بَلْوَى ؛ بَلاَء ؛ بائِقَة ؛ جائِحَة ؛ حَدَث ؛ حادِثَة ؛ حاقّة ؛ شِدّة ؛ ضَرْبَة). وفي كتب اللغة تشتهر إحدى أقرب معانيها، أكثر من غيرها، إلى: (الجائحة). ومن ذلك ما جاء في لسان العرب: (الجائحة: الشِّدَّةُ والنازلةُ العظيمة، التي تجتاح المالَ من سَنَةٍ أو فتنة. وكل ما استأصله: فقد جاحه واجتاحه. وجاح الله ماله وأجاحه، بمعنى، أي أهلكه بالجائحة. الأزهري عن أبي عبيد: الجائحة المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله؛ قال ابن شميل: أصابتهم جائحة أي سنة شديدة اجتاحت أموالهم، فلم تدع لهم وجاحا، والوجاح: بقية الشيء من مال أو غيره)[2].

المسألة الثانية: يتناولُ البحث جهودَ العلماء للحدّ من آثار الكوارث، مما يناسب التعرّض لتعريف: الحَدّ، وهو: (الحاجز بين الشيئين، والحَدُّ من كلِّ شيءٍ: طَرَفه الرقيق الحادّ، وضَعَ حدًّا لِلأَمر: أَنْهاه)[3]. والمعنى الأخير أثار اهتمامَ الباحث، لهذه الإضافة التي تشير نوعا ما إلى أنّ وضع الحدّ للكارثة يتطلب إنهاءها، مما يعني تكاتف الجهود لتلك الغاية.

المطلب الثاني: التعريف بالكوارث من منظور شرعي:

قد يُشكل على البعض، مَن هم علماءُ الشريعة. فناسبَ التعريف بهم، على اعتبار أنهم مادة هذا البحث، المعنيين بالحدّ من الآثار الجانبية للكوارث من منطلقات شرعية، وهنا مسائل:

المسألة الأولى: علماء الشريعة وهم المعنيون بتعلّم وتعليم العلوم الشرعية. وقد عرّف العلماءُ، (العالِم)، بأنه: (عَالِمٌ بِأُمُورِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ: عَارِفٌ بِهِما عَالِمٌ فِي عِلْمٍ مَّا: المتَضَلِّعُ مِنْهُ، المتَّصِفُ بِالْعِلْمِ وَالمعْرِفَةِ). فعالم الشريعة له ارتباط بحياة الناس، أكثر مما يظنّ الكثيرون، فالعالم هو الذي يكون سببًا للشفاء. وهنا قول للخليل صيرة: (والطَّبُّ: العالِمُ بالأُمور. يقال: هو به طَبٌّ، أي: عالم. وبعيرٌ طَبٌّ، أي: يتعاهد مواضع خُفِّه أَيْنَ يَضعُه)[4]. فالطبيب الذي يجمع بين العلم والمعرفة، بصرف النظر عن تخصصه، مما يؤكد على أنّ عالم الشريعة طبيب لما ينتج عن الكوارث مما يصيب الحالات النفسية.

---

١ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن عليّ، جمال الدين الأنصاري (ت: ٧١١هـ) لسان العرب (فصل الكاف).
٢ - المصدر السابق: (مادة: فصل الجيم).
٣ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الخامسة، مادة: الحد، صفحة: (١٦٦)
٤ - الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) كتاب العين، (مادة: طبب).

المسألة الثانية: العلوم الشرعية هي الأداة الوحيدة التي يستخدمها العقل، للاهتداء إلى مقتضَى النصّ الشرعيّ، فلا يستقي آراءه، ولا إرشاداته، ولا يقوم بترشيد الآخرينَ، إلا عن طريق العلوم الشرعية. وجاء تعريفيها في موقع الويكيبيديا: (هي مجموعة من العلوم المختصة بالشرع الإسلامي، وقد نشأت هذه العلوم خلال فترات متتالية لتأسيس المدارس الفقهية، والمدارس العلمية الأخرى، منذ نزل القرآن الكريم على خاتم المرسلين النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تطور العلم الشرعي عبر التاريخ بإضافة العلماء المسلمين[1] وتفرع كثيرًا إلى علوم متنوعة كثيرة أكثر من أن تُحصر. وقد ألف علماء الإسلام الملايين من الكتب لخدمة العلوم الشرعية عبر أكثر من:١٤٠٠ سنة. والعلم الشرعي نسبة للشريعة بمعنى: -ما شرعه الله على لسان نبيه من الأحكام-).

المسألة الثالثة: ماهية دور علماءِ الشريعة: إنّ الأدوار المناطة بعلماء الشريعة، تتطلب أمورا، منها:

١) معرفة الدور المناط بهم، ليعرف الشخص متى وأين يجد مراده ومبتغاه.

٢) تعزيز العلماء ليتمكنوا من أداء الدور المناط بهم الذي يتمثل عبئا كبيرا، حيث مساعدة الناس ليروا الإيجابية في مشكلاتهم، ومواصلة الأمل دونما تخلٍّ عنه.

وأشير هنا إلى أنّ الباحث سيتناول التعريف المعاصر للكوارث في المطلب الأول من المبحث الثاني:

المطلب الثالث: خطورة الكوارث والأزمات في البناء الإنساني -الجهود الأندونيسية أنموذجا-:

تعتبر الكوارث بأنواعها من الأمور التي لا يمكن منعها من بني الإنسان، وفي تقرير صادر عن المجموعة الاستشارية العلمية والفنية التابعة للاستراتيجية الدولية للحدّ من الكوارث، عام: ٢٠١٣م. جاء فيه: (تؤدي الكوارث إلى تدمير الأرواح، وسبل العيش في جميع أنحاء العالم. وبين عامي: ٢٠٠٠ م. وعام:٢٠١٢م. توفي (٧.١ مليون)، شخص جراء الكوارث، وتم تكبّد أضرارٍ، تقدر بنحو(٧.١ تريليون) دولار أمريكي)[2].

ومع ذلك كلّه يمكننا بفضل الله، ثمّ بالعلم والتقنيات الحد من آثارها من خلال مغادرة المكان قبل حدوث ما يمكن معرفة قرب حدوثه من الكوارث. ولعلماء الشريعة دور في بعض الجوانب في هذه المرحلة، ودورهم الأكبر يكون في تقليص الخطورة النفسية لما بعد الحدث، الذي يمكننا الاطلاع على تصور لتلك الجهود من خلال الأنموذج الأندونيسي.

وهنا سنتعرض إلى تجربة إندونيسيا فيما تعرضت إليه في السنوات القليلة الماضية، وما أعقبه من جهود ميدانية:

- 2004م. زلزال قوته ٩.١ درجة على الساحل الغربي لإقليم أتشيه الإندونيسي شمال سومطرة أسفر عن تسونامي في ١٤ دولة ومقتل ٢٢٦ ألف شخص على امتداد الشريط الساحلي للمحيط الهندي وأكثر من نصف القتلى في أتشيه.

---

١ - جاء في الويكيبيديا، تعريفًا عصريًّا، المُسلم، هو: (الشخص الذي يقر بالله رباً وإلهاً واحداً وينفي الربوبية أو الألوهية لغيره، ويتخذ الإسلام ديناً، ويتبع محمد نبياً ورسولاً، ويتخذ القرآن كتاب هداية، ويؤدي أركان الإسلام الخمسة .وهو فرد من طائفة المسلمين الذين يشكلون حوالي ١.٦ مليار نسمة بما يعادل ٢٣% من إجمالي عدد سكان العالم، ويتكونون من مجموعات عرقية وقومية مختلفة).

٢ - تقرير صادر عن المجموعة الاستشارية العلمية والفنية التابعة لإلستراتيجية الدولية للحد من الكوارث – ٢٠١٣، تحت عنوان: (توظيف العلم في الحد من أخطار الكوارث ملخص تنفيذي).

- 2005م. سلسلة من الزلازل القوية على الساحل الغربي لسومطرة في أواخر مارس آذار ومطلع أبريل، ومقتل المئات في جزيرة نياس قبالة ساحل سومطرة.

- 2006م. زلزال قوته ٦.٨ درجة بجنوب جاوة، أكبر الجزر الإندونيسية من حيث عدد السكان، أسفر عن تسونامي ضرب الساحل الجنوبي وقتل قرابة: ٧٠٠ شخص.

- 2009م. زلزال قوة ٧.٦درجة. قرب مدينة بادانج عاصمة سومطرة الغربية ومقتل ما يربو على: ١١٠٠.

- 2010 م. ولزال قوته ٧.٥ درجة على إحدى جزر منتاواي قبالة سومطرة يؤدي إلى أمواج مد عاتية يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار وتدمر عشرات القرى وتودي بحياة حوالي ٣٠٠ شخص.

- 2016 م. زلزال في منطقة بيدي جايا بإقليم أتشيه أسفر عن دمار وذعر ولم يمت أكثر من ١٠٠ شخص بسبب انهيار مبان. لكنه أعاد إلى الأذهان زلزال تسونامي عام ٢٠٠٤. ولم يتسبب الزلزال في تسونامي.

- 2018 م. زلازل على جزيرة لومبوك السياحية، أودى بحياة ٥٠٠ شخص، وأيضًا مقتل أكثر من ٢٠٠٠ شخص بسبب زلزال وتسونامي في مدينة بالو على الساحل الغربي لجزيرة سولاويسي.

في التجربة الأندونيسية كانت المدرسة حاضرةً في العلاج للحدّ من آثار الكوارث: (وقد قامت إندونيسيا بإطلاق برنامج للحماية من آثار الكوارث الطبيعية حيث أفادت وسائل إعلام إندونيسية اليوم الأربعاء، بأن ملايين الطلاب المنتمين لحوالي ٢٥٠ ألف مؤسسة تعليمية سيستفيدون من برنامج الحماية والتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية المنظم من طرف الوكالة الوطنية للحماية من الكوارث الطبيعية.ويقول أحد المسؤولين:" نسهر من خلال هذا البرنامج على إطلاع الطلبة على التدابير الواجب اتخاذها من أجل التخفيف من مستوى تعرضهم للكوراث الطبيعية". حيث تم إدماج أنشطة شبه مدرسية في هذا البرنامج مرتبطة بتدابير الحماية من الكوراث الطبيعية. وكانت وزارة التربية والثقافة في إندونيسيا، قد أطلقت منذ ٢٠١٢، برنامجا مماثلا في ١٥٠٠ مؤسسة تعليمية)[١].

فرع:

يمكن للإيمان بالله أن يكون مانعًا من تفاقم تلك الكوارث وبالتالي الحد من آثارها، وللإيمان بالله أثر في إعادة الثقة بالنفس للمجتمع فيواصل مسيرة حياته، ولعل الاستعانة بعلماء الشريعة له دور تاريخي ينافسه في زماننا: المدرسة التي تنضوي تحت راية: التربية والتعليم. وفي العالم الإسلاميّ لا تخلو المدرسة من علماء الشريعة كمستشارين أو موظفين.

والسؤال الذي يعنينا بدرجة أعلى: إذا كانت التربية والتعليم والثقافة وما يتبعها من مرسسات معنية بمعالجة الكواث الطبيعية وما ينجم عنها، فهل يمكن التخفيف من الآثار الواقعة وتفادي جزءًا من عواقبها من خلال الزكاة؟. وللإجابة يمكننا مناقشة ذلك من خلال البحث التالي:

المبحث الثاني: شمولية الزكاة وأهميتها في مواجهة الكوارث والحدّ من خطورة آثارها:

١ - http://mapecology.ma، بتصرف: عن وكالة المغرب العربي للأنباء.

تمهيد: يتعامل الإسلام بواقعية، ووسطية، فهو يدعو إلى امتثال العبادة، ويؤكد على أنها من أسباب السعادة، وبالمقابل: أنّ الحياة يتخللها ابتلاءات للفرد والمجتمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥). وهذا المنهج يؤدي إلى شمولية في التأسيس النظري والتطبيق العملي في التعامل مع المستجدات، ومنها: الكوارث.

والشمولية تعبّر عنها الزكاة وما يتفرع عنها، من نظام ماليّ اقتصاديّ مُحكَم، له أثر في المبادرة الإسلامية والتعامل مع الواقع الذي يستلزم الوقوف على خطورة الكوارث، للتعرف على نتائجها المتوقعة لتفاديها وأهمية القيم الإنسانية في الحدّ من آثار الكوارث، ودور الزكاة ضمن منظومة السعي لحياة أمثل:

المطلب الأول: خطورة الكوارث والأزمات في زعزعة البناء الإنساني:

مدار الجهود المبذولة منذ سنوات عدة على الصعيد العالميّ تُعنى بالكوارث. ولكنه للأسف يقابلها شيء من التجاهل لمسببات الكارثة والوقاية منها. وذلك نابع من الاستخفاف باالثقل الذي تحمله الكوارث، في حين أنه قد يصعق الناس عند سماع خبر كالآتي: (الزلزال الذي أصاب هايتي في:١٢يناير/كانون الثاني٢٠١٠م. شَرَّد ١.٥ مليون شخصًا، وأودى بحياة أكثر من:٢٣٠ ألفا آخرين). ولأن غالبنا سرعان ما يتناسى خبرا كهذا، فيلزمنا بادئ ذي بدء التذكير بأمرين:

أولا: تعريف الكارثة من حيث النظرة الأممية لها: يمكن تعريف الكوارث الطبيعية بالإنجليزية: NATURALDISASTERعلى أنها: مجموعة من الأحداث المدمرة التي تخلّف أثارًا سلبية تضاهي أضرار الحرب على البيئة والبشر، وهي خارجة عن سيطرة الإنسان؛ إذ لا يمكنه التحكم فيها أو منعها من الحدوث وتكون إما جوية، أو جيولوجية، أو هيدروليجية؛ كالزلازل، والبراكين، والجفاف، والأعاصير، وغيرها)[١].

هذا التعريف يؤكد على عدم التمكن من السيطرة على الكوارث، وهذه الجزئية تعيننا على فهم أهمية الزكاة في الحدّ من الكوارث على اعتبار أنها ضماد للجرح الإنسانيّ.

ثانيا: ينبغي لأصحاب القرار في العالم على وجه الخصوص لعل ضمائرهم تتحرك لوقف كوارث الحروب، وكذلك عموم الناس عليهم أن يقرؤوا عن مدى الخطورة التراكمية التي تحدثها الكوارث الطبيعية، وهنا أمثلة:

1 – (الحدوث المتكرر للكوارث والنزاعات ومدتها وآثارها تنامي، يلاحظ أن ما يزيد عن:٤٣٠مليون شخص في دول أعضاء في منظمة التعاون الإسلامي قد مسّهم الضرر جراء ٢١١٢كارثة، تعود بالأساس إلى الفيضانات والأوبئة والزلازل والعواصف، تمّ تسجيلها خلال الفترة الممتدة من عام:١٩٩٠–٢٠١٢، وأن زهاء:٦٥٠,٠٠٠ شخص قد لقوا حتفهم جراء تلك الكوارث)[٢].

---

١ - "Natural Disaster", sciencedirect.com, Retrieved 29-5-2019. Edited. موضوع.كوم :(تعريف الكوارث).

٢ - البنك الإسلامي للتنمية، و: (سيسرك) مركز البحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للبلدان الإسلامية، دراسة مشتركة: الملخص التنفيذي للدراسة صفحة: (١).

٢ – (في عام ٢٠٠٥م،أي: بعد قليل من حدوث كارثة التسونامي الآسيوية: تعهدت ١٦٨ حكومة بتنفيذ الأهداف الاستراتيجية الثلاثة لإطار عمل هيوغو وهي:ا– إدراج الحد من خطر الكوارث في السياسات والخطط الإنمائية المستدامة. ب–إنشاء وتقوية المؤسسات، والآليات وقدرات بناء القدرة على مواجهة المخاطر، جـ– القيام بشكل منهجي بإدراج الحد من المخاطر في تنفيذ التأهب لحالات الطوارئ وبرامج الاستجابة والإنعاش. ولتحقيق هذه الأ هداف، أُوضح إطار عمل هيوغو خمس أولويات محددة للعمل وهي:

١)إيلاء الأولوية للحد من أخطار الكوارث.

٢)تحسين المعلومات المتعلقة بالمخاطر، والإنذار المبكر.

٣)بناء ثقافة للسلامة والقدرة على مواجهة المخاطر.

٤)الحد من المخاطر في القطاعات الرئيسية.

٥) تعزيز التأهب والاستجابة للكوارث الطبيعية.)[١].

٣ – (منذ الثمانينات، بدأت خسائر الكوارث تأخذ اتجاها متصاعدا، وتشير التقديرات إلى أنه بين عامي ١٩٨٠ و٢٠١٢ بلغ إجمالي الخسائر الناجمة عن الكوارث بنحو ٣.٨ تريليون دولار. وتؤدي الكوارث إلى وقوع الناس في براثن الفقر. وعادة ما تكون الأسر الفقيرة والمهمَّشة أقل قدرة في مواجهة الكوارث وتواجه صعوبات أكبر في استيعاب آثار الكوارث والتعافي منها)[٢]. في الأمثلة آنفة الذكر، يتبين ضرورة التفاعل مع ثقافة السلامة، وأهمية وضع استراتيجيات لتقليل الخسائر، خصوصا في العالم الإسلاميّ المعنيّ في أراضيه بجلّ تلك الكوارث. والزكاة هي محور الاقتصاد الإسلاميّ وأنها تقوم على التراحم، ضمن منظومة القيم الإنسانية، يمكننا من خلالها الإنفاق على: (وقف الدراسات) التي تكون قبل وبعد الكارثة:

المطلب الثاني: دور الزكاة في مبدأ التراحم وأثر ذلك في منع الكوارث:

يعتبر التراحم هو الدافع الأقوى للحد من الكوارث، لأنه يعمل على تخفيف آثارها. ومن خلال التراحم يتشكل مرحلتان هما: قبل وبعد الكارثة، يَلزمنا التراحم في المرحلتين للحدّ من آثار الكوارث.

وينبغي لعلماء الدين في الإسلام، أن يكون لهم دور إيجابيّ فيما قبل وبعد الكارثة، كما في الآتي:

المرحلة الأولى: قبل حدوث الكارثة: ينبغي الإقرار بأنّ الكوارث تقع من غير إنذار مسبق ولا يمكن معرفة زمن حدوثها ومقدار ما توقع من خسائر وما ستودي به من أرواح، فأمرها غيبيّ وعلمه عند الله. إلا أنّ الله سبحانه، وهبَ الإنسان علمًا ومعرفةً وتجارب تمكنه من الشعور بوقوع الكارثة وتفادي بعض خسائرها.

ففي الإسلام يقترن نزول البلاء بترك الأوامر وفعل النواهي. وليس ذلك على إطلاقه، لكنّ المعاصي مؤشر لهلاك الأمم، ومن ذلك: منع الزكاة. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" وما منع قوم زكاة

---

١ - إطار عمل هيوغو: ٢٠٠٥ -٢٠١٥م: بناء قدرة الأمم والمجتمعات على مواجهة الكوارث، من إصدارات: الأمم المتحدة نيويورك وجنيف، ٢٠٠٨م. صفحة رقم: ١ .

٢ - البنك الدولي، إدارة مخاطر الكوارث من أجل تنمية تتسم بالمرونة: www.albankaldawli.org

أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا"[1]. ودور العلماء مناط بتذكير الناس بأهمية أداء الزكاة، التي هي عَوْدٌ على الله بالشكر لما ينعم على العبد، ومنع أدائها كفران النعمة وسبب من أسباب حدوث الكوارث، وربط ذلك كلّه بالإيمان بالقضاء والقدر، وهذا لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب بالاستعانة بالعلوم والتجربة لعدم التعرض للكارثة، وهذا واضح من خلال معالجة الشريعة لكارثة الطاعون.

المرحلة الثانية: بعد حدوث الكارثة: إذا كان منع الزكاة من أسباب الكوارث أحيانا، فإن إعطاءها يمنع الكثير من الكوارث، وأما حال وقوع كارثة ما فإنّ الزكاة يكون لها دور في التراحم بين الناس، كقِيمة أخلاقية إنسانية تخفف العناء عن المنكوبين، وترفع معنوياهم مما يعين على أمور منها: تقبل العلاج. مما يعيد المنكوب إلى العمل للبناء ولا تقعد به الحالة كعالة على غيره.

كما أنّ الزكاة تعطي الاستقرار للمجتمع، وبالتالي ينتج عندنا الإبداع العلمي والتقدم الصناعي، وغير ذلك من الوسائل المعينة على تفادي مخاطر الكوارث. وهذا ما نجده بالتجربة: فكلما كانت الدولة ذات استقرار اقتصادي كانت متقدمة في كافة الميادين. والتصور التاريخي التالي يعطي البعد الهامّ للاقتصاد:

(وجود الرعاية والدعم والاستقرار السياسي: يتمتع أغلب العلماء الذين جرت دراستهم برعاية من سلطة عليا في المنطقة الجغرافية التي عاشوا فيها، وأنتجوا فيها أهم إنجازاتهم، وهذه السلطة قد تكبر وتتمثل في سلطة الخليفة كما حدث في أثناء فترة قوة الدولة العباسية أو خلافة الأندلس، أو سلطة الدول الأصغر نفوذاً وسلطة ولاة الأقاليم والدويلات الإسلامية المختلفة، التي برزت بعد ضمور وضعف سلطة الدولة العباسية، ثم سقوطها. وفي بعض الحالات نجد هذا الدعم يأتي من إدارة مرصد أو من بيت حكمة. وتتناسب فترات الازدهار والابتكار مع قوة وارتفاع سلطة الداعم. ولذلك نجد أن العصر الذهبي كماً وكيفاً، الذي يمثل قمة البروز في العلوم الطبيعية والطبية وقمة نشاط التأليف والجرأة على طرح النظريات الجديدة، متركز في القرون الثالث والرابع والخامس والسادس الهجرية، وبعدها بدأ التراجع في الكم والكيف على جميع المستويات)[2]. والإسلام كامل تامٌّ بأحكامه وتشريعاته، والبعض ينظر إلى الزكاة بأنها عبء، وأنها مبالغ تصل إلى الفقير والمسكين فحسب، إلا أنها حققت هذه الأيام إضافة فلها دورا يناط بها في عدة ميادين هامة، مما يتأكد ضرورة نشر ثقافة التوسع في مفهوم الزكاة:

المطلب الثالث: موقف علماء الشريعة من التنبؤات بالكوارث والأزمات وكيفية بناء الفكرة الوقائية لها:

يهتدي الناس برأي العلماء، كما يعتبر الخطباء ممثلين عن العلماء في حضّ الناس على الأخذ بالأسباب في تجنب الكوارث، من خلال النصيحة العامة، التي تعتبر خطة وقائية للمجتمع. كما أنهم لا يألون جهدا في حثّ الناس على مواجهة الواقع بكافة السبل المنجية من الدمار النفسي الناتج عن دمار حصل جراء كارثة.

وقد استقر رأي العلماء الأجلاء على جواز الاستعانة بالتقنيات الحديثة لمعرفة الحالة الجوية على اعتبار أنها علم يُنتفع به، وليست من الكهانة، وكذلك في التنبؤات للزلازل والأعاصير وغيرها:

---

١ - ابن ماجه، محمد القزويني، سنن ابن ماجه، باب: العقوبات، حديث رقم: (٤٠١٩).
٢ - د. العبدالجبار، عبد الحميد، ود. بندر المشاري، مجلة الفيصل العلمية عدد: مارس/ ٢١٠٨م: عوامل بروز علماء الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبيعية

(إن علماء الأرصاد الجوية عرفوا من سنة الله في خلقه الخاصة بموضوع المطر، أن المطر له علامات دالة عليه من ريح وغيوم ... الخ، فإذا رأوا علامات معينة من الرياح ورطوبة الجو والغيوم... إلخ، قالوا: يُتوقع هطول المطر في الوقت الفلاني، وليس هذا من باب العلم بالغيب، بل هو من باب الحكم على الشيء من المقدمات التي جعلها الله أسبابا له، ويجب أن يذكروا أنه لا يوجد جزم في الموضوع، وإنما هو توقع، والله يفعل ما يشاء وإليه ترجع الأمور، ومجازفة بعضهم وجزمهم بنزول المطر مخالف للعقيدة والواقع، فعقيدتنا أن الأمور بيد الله ووقت نزول المطر لا يعلمه إلا الله، والواقع يشهد بأن الكثير من توقعاتهم لا تصدق، فينبغي أن يذكروا توقعاتهم مع تفويض الأمور لله فهو أليق دينيًا وعلميًا)[1].

كما أنّ العلاج الوقائي نجده في النصوص الشرعية في القرآن والسنة، وذلك واضح من خلال الآيات التي تنهى عن مجرد الاقتراب من الفعل السيء تفاديا عن فعله. ويمكننا التعرض لبعض النصوص فيما يأتي:

المطلب الرابع: النصوص الشرعية للحدّ من حدوث الكوارث أو تفاقم سلبياتها:

تأخذ النصوص الشرعية دورا مبرّزا في المعالجة الاستباقية للحدث، من خلال مبدأ: "اعقلها وتوكل"، ففي الحديث الشريف: (عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ")[2]. ويمكن ذكر بعض النصوص الشرعية التي تعنى بالكوارث، كما يلي:

أولًا: القرآن الكريم:

١) النصوص الشرعية تأمر بالحفاظ على المقدرات:﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة:١٩٥). والأمر بالإنفاق يشمل الزكاة والحقوق العامة والخاصة والصدقات، وأداء الأمانة ومن ذلك: الإنفاق على البِنية التحتية في البلاد، منعًا من التهلكة، وذلك إحسان يحبه الله تعالى.

٢) ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾. سورة هود-٤٢-. وذلك طوفان زمن نوح عليه السلام.

٣) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤)﴾. هذه الآيات تعبر عن الكوارث التي هي بلاء أصاب قوم فرعون لما ظلموا، والرجز تعبير عن ذلك كله.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ . الأحقاف: -٢٤-. الريح أصابت قوم عاد، وهي الكارثة التي عذبوا بها.

ثانيًا: السنّة النبوية:

١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ")[3].

---

١ - موقع دائرة الإفتاء الأردنية، فتوى رقم:2611 "فتاوى الشيخ نوح علي سلمان" (فتاوى العقيدة، رقم/١٣)

٢ - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩)، سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٥١٧)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة/٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

٣ - البخاريّ، محمد بن إسماعيل: (ت: ٢٥٦)، صحيح البخاريّ، حديث رقم: (١٠٣٦)، المحقق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيلةً في السماء، أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغيَّر وجهُه، فإذا أمطرت السماءُ سُرِّي عنه، فعرَّفته عائشة ذلك؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أدري لعله كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ الأحقاف: ٢٤)[١].

٣) أما إذا وقع الحدث والكارثة، فهناك العلاج حسب الواقعة للحد من انتشار الكارثة كما في ألوبئة، من ذلك: (عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ أَوِ السَّقَمَ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، ثُمَّ بَقِيَ بَعْدُ بِالْأَرْضِ، فَيَذْهَبُ الْمَرَّةَ وَيَأْتِي الْأُخْرَى، فَمَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا يَقْدَمَنَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَقَعَ بِأَرْضٍ وَهُوَ بِهَا فَلَا يُخْرِجَنَّهُ الْفِرَارُ مِنْهُ")[٢]. فالفرار من الوقوع في الكارثة بعدم الدخول عليها أو الوصول إليها يقره الشرع.

والأصول العامة في الدين الإسلاميّ تحضّ على الرحمة، وهي مما يتناوله علماء الدين في الكثير من المواطن فيما هو أقل من الكارثة التي تتسع فيها دائرة الرحمة حتى لا يفرق فيها بين مسلم وغير مسلم، فنجد تبويب البخاري لأحاديث الرحمة في صحيحه: (بَابٌ: رَحْمَةُ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ). ويروي فيه حديثا:"مَن لا يَرحم لَا يُرحم"[٣]. وفي هذا الحديث تجسيد لعموم أعمال الخير في الإنسانية.

ومهما تنوعت الكوارث فإن مبدأ الحذر منها والأخذ بالأسباب قبلها والتسليم للقضاء والقدر بعدها:

المبحث الثالث: أنواع الكوارث والأزمات والإجراءات الشرعية تجاهها:

المطلب الأول: أهمية دراسة الكوارث من الناحية النظرية التحليلية:

تأتي دراسة أنواع الكوارث، كخطوة أولية لمعرفة الأسلوب في التعامل معها، لأننا لا يمكننا معالجة شيء ما لم نقف على ماهيته وتفريعاته. وهنا يرى الباحث أنّ تقسيم الكوارث إلى أنواع حسب الآتي:

أولًا: الكوارث تأتي من قِبل الفضاء:

١) الكسوف والخسوف: ظاهرة مرّت في زمن النبوة، فجاء التأصيل الشرعيّ لها: فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يخبر، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال: (إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا)[٤]وسُنّ لهما مع الصلاة الصدقة، فإخراج الصدقات في الدين الإسلامي من موانع الكوارث.

٢) الشهب والنيازك: جاء ذكر الشهب في آيات عديدة وكلها تشير إلى أن تلك الشهب، هي لرجم الشياطين، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. (الصافات: ١٠).

---

١ - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٢٠٦)
٢ - مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٩٦ - ٢٢١٨)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣ - متفق عليه: البخاريّ، صحيح البخاريّ، حديث رقم: (٦٠١٣)، ومسلم، صحيح مسلم برقم: (٦٥ -٢٣١٨).
٤ - البخاري، برقم: (٣٢٠١) . ومسلم، مطولًا برقم: (٩٠١).

والشهب ليست من الكوارث، ولا من أسباب الكوارث، ولا يثبت أنها من علامات الساعة، بل إنها من رحمة الله، ومما يمنع الكوارث الأرضية. وأما ما يخترق منها الغلاف الجويّ، فليس ذا أهمية يذكر.

٣) البرق: يتسبب –أحيانا– بإحداث كوارث بيئية، كالحرائق. وبعد التطور الحديث، أصبحت المباني والناقلات بأنواعها، يوضع فيها، ما يسمى: (الإرث)، وبالعموم لا يعتبر كارثة حدوثه، بادئ الأمر.

ثانيًا: الكوارث تأتي من قبل الغلاف المحيط بالأرض:

١) الجفاف: وقد حدث في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقد اشتكى إليه أصحاب الأطراف، هلاكَ الزرع والضرع، فكان الحلّ الأقرب (الدعاء بالتضرع إلى ربّ السماء). فنزلت السماء بماء فيه بركة، حتى سالت الأودية بنهَر. كما أنّ الجفاف (القحط والمحل)، لا يزال يتكرر حدوثه، ففي عهد عمر بن الخطاب، زمن الصحابة حصل في عام سميت بالرمادة، لأنّ الناس من شدة الجوع ، كانوا يرون السماءَ رمادية اللون. وكان العلاج الشرعي، يتمثل في أمور منها:

ا– تعجيل الزكاة: وهذا الحكم تناوله الفقهاء، فيمكن لأصحاب الأموال في الظروف القاهرة أن يعجلوا زكاة أموالهم لسنة أو سنتين أو ثلاث.

ب– صلاة الاستسقاء: وهي سنة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يُكتفى بالدعاء، للسقيا على منبر الجمعة، وهي صلاة يخرج بالناس حاكم المنطقة، ويصلي بهم أحد الصالحين من أهل العلم.

جـ– اللجوء إلى التقتير في النفقات، فقد عصبَ حجرين، على بطنه صلى الله عليه وسلم عام الأحزاب. وعمر بن الخطاب عام الرمادة أَقسَم ألا يهنأ بعيشٍ ما لم يشبع آخر إنسان في أطراف الأمة.

والقحطُ يؤدي إلى طامات على مستوى المجتمع. وسورة يوسف عالجت هذه القضية، عن طريق الادخار في أعوام الخير، للإبقاء على قوة الدولة، في أعوام المحل.

٢) شدة الحرّ: قد تكون بارتفاع درجات الحرارة، وقد تكون بانخفاضها، وفي الحالين تكون شدتها، سببًا للكوارث، وارتفاعها الشديد يسبب الحرائق العامّة، ويقلّل منسوب الماء في الآبار الارتوازية، وفي البرد الشديد، هناك هلاك المزروعات، وفقدان سير الحياة العامة. ونتعوّذُ من فيحِ جهنّم وهي علْمٌ غيبيٌّ بحتٌ: (عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب آكل بعضي بعضًا فأذن لها بِنفَسَين: نفسٍ في الشتاء، ونفسٍ في الصيف، فأشدّ ما تجدون من الحر، وأشدّ ما تجدون من الزَّمهرير)[1]. والتعوذ من النار يجعلنا نتعوذ من الكوارث ونسعى للبعد عنها.

ثالثًا: كوارث تأتي من باطن الأرض، ودور الشرع في الحدّ منها:

١) الزلازل: هذه الكارثة التي تخيف البشرية جمعاء، فكارثة الزلازل، لا يوجد أمامها حلولٌ ولا تنتظر التحليلات. ومع أنّ الله تعالى، علّم الناسَ وهداهم، إلى تصاميم معماريةٍ (مقاومة للزلازل). غير أنّ قدرة الإنسان المحدودة، لا تقف أما إرادة الله، إذا حلّت في زمانٍ أو مكانٍ. والزلازل من الكوارث التي ليس بالضرورة أنْ تكون عقابًا، وليس بالضرورة أن تكون

١ - متفق عليه، البخاريّ، برقم: (٣٢٦٠). ومسلم، برقم: (١٨٥ - (٦١٧)).

بلاد المعصية، بل إنها ترجع إلى التضاريس ومراحل نمو الأرض. فعند شرح كلمة: (وتكثر الزلازل). يقول الشُّرّاح: (وقد أكثر ذلك في البلاد الشمالية والشرقية والغربية حتى قيل إنها استمرت في بلدة من بلاد الروم التي للمسلمين ثلاثة عشر شهرًا، وفي حديث سلمة بن نفيل عند أحمد: (وبين يدي الساعة سنوات الزلازل)[1].

وأما الزلازل والتي تأتي بغتة، فتهلك المعاني والمباني، فإنّ التعامل معها مما يكون بالتحذير من وقوعها، أما بعدها فليس ثمة إلى تشمير عن السواعد لإغاثة ما يمكن إغاثته، مع التزام الإيمان بالقضاء والقدر، ومع الدعاء، ودفن الموتى، ويمكن أن يكون الدفن جماعيًّا، ويمكن أن يكون بالإبقاء على مَن وافته المنية، تحت الأنقاض، إن تعذر انتشالهم. وقد اعتبر الإسلامُ، الذي يموت تحت الهدمِ (شهيدًا). للحديث الذي سنتناوله، في النوع الثاني:

٢) الفيضانات: كارثةٌ يحاول الإنسان منع حدوثها، وزراعة الأشجار حولَ الأنهار – مثلًا- علاج لها، والإسلام يأمر بزراعة الأشجار، مما يقلل من كثير من الكوارث، كما أن نظرة الإسلام للذين يموتون غرقًا، ممن يدهمهم الفيضان، أنهم: شهداء في الإسلام، للحديث الشريف: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله)[2].

المطلب الثاني: التأصيلات الشرعية لمواجهة الكوارث –الزكاة أنموذجا–

ذكرت العلوم الشرعية الكوارث، في أبواب: العقيدة، المعاملات، العبادات، والسلوك. بمصطلح: الكارثة أو بمرادفاتها. ويرى الباحث، أنه يمكن تقسيم الكوارث حسب معطياتٍ تأصيلية، كالآتي:

١) (الآفة السماوية) : (قوله: "بآفَةٍ سَمَاوِيَّةٍ" الْآفَةُ: الْعَاهَةُ، وَقَدْ أِيفَ الزَّرْعُ عَلَى مَا لَمْ يُسَمِّ فَاعِلُهُ، أَيْ: أَصَابَتْهُ آفَةٌ، فَهُوَ مَئُوفٌ مِثْلُ مَعُوفٍ. قَوْلُهُ: "أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ" الْجَوْحُ: الاسْتِئْصَالُ، وَمِنْهُ الْجَائِحَةُ، وَهِيَ: الشِّدَّةُ الَّتِي تَجْتَاحُ الْمَالَ مِنْ سَنَةٍ، أَوْ آفَةٍ، أَوْ فِتْنَةٍ، يُقَالُ: جَاحَتَهُمُ الْجَائِحَةُ، وَاجْتَاحَ اللهُ مَا لَهُ، أَيْ: أَهْلَكَهُ)[3]. كما جاء في موقع المعاني على الشبكة: (الكارثة: المصيبة العظيمة وخراب واسع. الكوارث الطَّبيعيَّة natural disaster: الناتجة عن الطبيعة كالزلازل والفيضانات والأعاصير)[4].

٢) أرضية: ا- ما يمكن التنبؤ بها، ب- ما لا يمكن التنبؤ بها.

٣) عارضة، ودائمة. ٤

) من صنع البشر، ليس للبشر شأن فيها. ويتفرع عن كل واحدة مما مضى، العديد من الكوارث، التي يمكن أن يستعرضها الباحث، ومدى دور علماء الشريعة، في الترشيد للعامة، مما يؤدي إلى التخفيف المرجو، من المأساة الحادثة.

فرع: الوقف الإسلامي: إذا كانت الزكاة مصدرٌ ثابت في الإعانة عن نوائب الدهر، فإنّ الصدقات باب واسع على مدار العام، مما جعل المنافسة بين الصحابة في ذلك، وهنا تُقرر السنة النبوية مسألة الوصية في الإرث:("الثلث، والثلث كثير")[5]. والتي يمكن أن يستعان بها على تقدم التقنيات وإنشاء المراصد وما شابه، من خلال الوقف الإسلاميّ، مما يكون له أثر في جلب النفع للمسلمين والناس عموما، ويقلل من آثار الكوارث، ويبين ذلك حديث: عن ابن عمر، أن رجلا

---

١ - القسطلاني، أحمد بن محمد أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ) ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٠٦/١٠)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٢ - البخاريّ، برقم: (٦٥٣). ومسلم، برقم: (١٩١٤).

٣ - الفَتَّنِي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار:(مادة: جوح)

٤ - موقع المعاني: (http://www.almaany.com/)

٥ - متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٥٤)، ومسلم، حديث رقم: (١٦٢٨ بلفظه)

جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا")[1].

المطلب الثالث: أثر الضوابط الشرعية في منع الصناعات الثقيلة من كورثة الأرض:

إذا كانت الأحكام الشرعية تشمل الأموال الظاهرة والباطنة، وتشمل النقد الثابت وعروض التجارة وهي مما يلزم مالكها الزكاة عنها. والمتولد عن المملتكات من المرعى والزراعة الموسمية، فذلك يحتم على المزكي أن لا يُدخل على نفسه الحرام، بالاجتراء على البيئة بما يتسبب بالكوارث لأجل تجارته وزراعته.

وتأتي الضوابط الشرعية الواردة في نصوص الوحيين أومن أصول الدين العامة أو المستنبطة عند الفقهاء، فتعمل تلك الضوابط على الحدّ من الكوارث بالأخرين إن كان من خلال الصناعات الخفيفة أو الثقيلة وما ينجم عنهما مما يودي بأمراض فتاكة كما في السرطان وأمراض القلب، والحديثَ الشريف الذي يمنع الفجيعة بطائر صغير: (عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ، فانطَلَق لحاجتِه، فرأينا حُمَّرةً معها فَرْخَانِ، فأخذْنا فرخَيها، فجاءتِ الحُمَّرة فجعلتْ تفرُشُ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من فَجَعَ هذهِ بولَدها؟ رُدُّوا ولدَها إليها")[2].

ثمّ، إنّ هناك فائدة عظيمةٌ، لا توجد في ديانة ولا فكر، ولا يمكن أن توجد في غير الإسلام، وهذه الفائدة مستوحاة من حديث أنس بن مالك، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل")[3]. فيوم القيامة أكبر كارثة وأدهى وأمرّ، مما يحصل في الدنيا، وهي الناقلة إلى الدار الآخرة، حيث الجزاء والحساب، وبعدها يشيب الولدان وتضع كلّ ذات حمل حملها. ومع ذلك كلّه يقول: صلى الله عليه وسلم: (وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل).

ومن هنا يتبيّن لنا، عظمة الإسلام وهو يبني الفألَ، في نفوس الناس، لمواصلة درب الحياة، وللوقوف حين الكارثة، كما ينبغي، فبعد الهدم لجانب من جوانب الحياة: (فليفعل). فليغرسها والغرس يحتاج الرعاية والصيانة، ولا يكون ذلك إلا بالنظرة الإيجابية للحياة.. وفي ذلك تجديد للحياة!!.

المبحث الرابع: دور الزكاة مواجهة الكوارث والأزمات –جهود المسلمين في العالم أنموذجا–

:

تمهيد:

نضطر لمواجهة الحياة بصعوباتها، فيلزمنا التعاون على الخير لتجاوز الصعاب وتسهل علينا، والسؤال: هل يمكن أن تكون الزكاة ركيزة أساسية في التغلب على كثير من متطلبات الحياة؟ وكيف؟. وبيانه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: منهج الإسلام في ضمان جودة الإنتاجية:

١ - الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: (٦٠٢٦)، الصَّحِيحَة:٩٠٦،صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب:٢٦٢٣.
٢ - أبو داود، سليمان بن الأشعث(ت:٢٧٥)، سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٦٧٥)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٣ - أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، برقم: (١٢٩٨١). المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي.

إن الزكاة تضع الركيزة الاقتصادية الأولى في المجتمع لينبني عليها عماد وثقافته، وهذه الركيزة لها دور في مواجهة الكوارث من خلال بناء القوة الاقتصادية ورفع القيمة للعملة لأنّ مواجهة الكوارث تحتاج السيولة وأمورا إذا لم تتوفر فسيكون هبوط الاقتصاد في البلد المنكوب نكبة مضافة، وبيان ما تعالجه الزكاة فيما قبل وأثناء وبعد الكارثة بما يأتي:

١) البطالة تكون من أسباب الفقر، والفقر يؤدي إلى البطالة، فتكون الزكاة معينة لبعض الفقراء في تأسيس حياة مهنية تنقلهم عن خط الفقر.

٢) الكساد الاقتصادي يسبب هزيمة في النفوس، فتأتي الزكاة لرفع المعنويات، بالانسجام بين تقديم الدعم المادي من بعض الدول لرفع الكفاءة الاستثمارية، وبين الزكاة التي هي داعمةً قوية للفقير والمحتاج إليها فيقل من الكساد الاقتصادي.

٣) المال من مقومات الحياة، وهو للفقير ضرورة ويحتاجها أصحاب الظروف الخاصة ممن انقطعت بهم السبل، فتأتي الزكاة لتكون رابطًا بين الأمم وهي بذلك داعمة قوية للعلاقات الإنسانية. فهي تُعتبر أساسًا في بناء الأمم.

وجاء الإسلام ليبين للناس ما يريده الله منهم، فلا ينظر الفقير إلى الغنيّ فيحسده ويعاديه لأن الله فضله بمالٍ قد حرمه الله منه ، ولا يدعي الغنيّ أنه ليس للفقير حقّ عنده ، من العطف والوقوف على حالته بما لا يضر بالغني، ويخفف الألم ويرجع المصاب إلى الطمأنينة واليقين بربه، وذلك كله بالاستعانة بالملموس من الأمور كما في الزكاة بأنواعها.

والكوارث تؤدي إلى مسلك حياةٍ جديدة، فالنكبات من جراء الحروب، والنزوح واللجوء إلى أماكن مختلفة من العالم، وقد يعيش العزيز ذليلًا، والغنيّ فقيرًا، وهذا: (التحوّل المفاجئ غير المتوقع في أسلوب الحياة العادية بسبب ظواهر طبيعية أو من فعل إنسان تتسبب في العديد من الإصابات والوفيات أو الخسائر المادية الكبيرة)[1]. ما سبق يؤكد على أنّ الكوارث تتعدد أشكالها والنتائج الكارثية متشابهة. وينتج عن ذلك أزمات تتفاقم تحتاج منا إلى العناية بها من حيث دراستها وسبل تعزيز وصولها إلى مستحقيها من أهل النكبات والأزمات، وهنا أمران:

- دور الزكاة في منع تفاقم أزمة مخلفات الكارثة، بتوفير الدواء والغذاء وما شابه.
- أن كثيرا من الكوارث تحدث في بلدان العالم الإسلامي حيث الاتساع في الرقعة الجغرافية، مما يؤكد على عالمية الزكاة، فيما لو تمّ العناية بها في مواجهة الكوارث والأزمات.

وسأنقل كلام الخبير الاقتصادي الدولي صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، وهو يوضح أمورا هامة، لتفعيل دور الزكاة الذي أصبح أمرا محتما:

(وكما ورد في تقرير اللجنة رفيعة المستوى عن التمويل الإنساني المرفوع إلى الأمين العام للأمم المتحدة (كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥) تحت عنوان: التمويل الاجتماعي الإسلامي للعمل الإنساني)، فإنّ ٩٠% من الأزمات الإنسانية اليوم تحدث في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي. كما ينشب ٣١ من ٣٢ نزاعًا قائمًا اليوم في البلدان ذات الأغلبية المسلمة. ويؤكد التقرير وجود "احتمال حقيقي للغاية أن يوفر التمويل الإسلامي حلولاً لمشكلة تمويل المساعدات الإنسانية العالمية." ويتابع أنه "من شأن واحد في المائة فقط من الزكاة أن تصنع فارقًا هائلاً في حجم عجز التمويل العالمي لعام ٢٠١٥م. وفي هذا المقام، أجد لزامًا عليّ أن أذكّر بالدعوة التي أطلقتها منذ ثلاثين سنة ونيّف، وما زلت أجدّدها

١ - موقع: المنظمة الأمريكية لمهندسي السلامة

حتى يومنا هذا، إلى إنشاء المؤسسة العالمية للزكاة والتكافل لتحقيق أهداف الزكاة والتكافل في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية بعيدًا عن التدخلات السياسية. ويمكن أن يتحقّق ذلك من خلال القيام بمشروعات مشتركة، وتوزيع أعمال الإغاثة في حال حدوث الكوارث، ورفد خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية؛ إيمانًا بأنّ الدور الذي تقوم به الزكاة سيؤدي حتمًا إلى القضاء على صور الحاجة والفقر في العالم الإسلامي بشكلٍ خاص، وفي العالم أجمع إذا ما اقترنت بالعمل الإنساني، بوجه عام. فكان من أهداف هذا المشروع الإسهام في مشروعات الإغاثة وتقديم يد العون لضحايا الحروب والنزاعات واللاجئين؛ التوعية والتعريف بأهمية الزكاة؛ العمل على جمع أموال الزكاة والصدقات من جميع الأفراد والجهات المانحة؛ التعاون مع مؤسسات الزكاة المحلية والإقليمية ضمن معايير الكفاءة والمساءلة؛ تنمية أموال الزكاة من خلال استثمارها وإقامة مشاريع وشراكات استراتيجية؛ تأهيل الفقراء ودعمهم ليتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم وتحقيق الاكتفاء الذاتي من خلال مشاريع تنموية محددة تنسجم مع حاجاتهم وكفاءاتهم؛ دعم بناء المدارس ودور الأيتام والعيادات الصحية؛ دعم برامج التنمية المجتمعية؛ وضع حلول مستدامة تسهم في علاج أسباب الفقر والمرض والأمية؛ ابتكار أشكال جديدة من المؤسسات الوقفية والاستثمارية القادرة على الاستجابة لحاجات العصر؛ وتطوير التشريعات والقوانين التي تسهم في تطوير المؤسسات الوقفية)[1].

المطلب الثاني: جهود الزكاة في مواجهة الكوارث التي تؤثر على الناحية النفسية:

مواجهة الكارثة بعد انتهائها يتمثل في الذكريات التي تبقى مع الإنسان، وخصوصا الأطفال الذي ينشؤون على ذكريات الطفولة التي يصعب نسيانها، والتسليم أوسع الطرق للسلامة كما في حديث: (لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)[2]. ومع ذلك فإن مبدأ الأخذ بالأسباب يسوقنا إلى لزوم اتخاذ التدابير لحماية الإنسان والممتلكات. وهنا يبرز دور الزكاة، حيث يمكنها بثّ المعنويات أثناء الكارثة، حيث يمكن نقلها من بلد لآخَر مما يعطي صورة التكافل بين المجتمعات.

والحديث الشريف يؤكد جواز السعي لأخذ الزكاة من بلد آخر: (عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ:"يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ،... ")[3]. ومن فوائد نقل الزكاة:

- الزكاة تعين على البقاء في الوطن وعدم مغادرتها بعد انتهاء الكارثة، مما يعني إعمار الأرض مجددا.
- للزكاة دور في تعزيز ثقة الإنسان بأخيه الإنسان: "تؤخذ من أغنيائهم وتوضع في فقرائهم"
- للزكاة دور في تحصين الأمة والمجتمع ونواته الصغيرة أيْ الفرد: "تطهرهم بها".

---

١ - الحسن بن طلال، سمو الأمير، مقال بعنوان: الزكاة والعمل الإنساني، تم نشره في الأحد ٢٢ أيار / مايو ٢٠١٦م. https://www.addustour.com/articles.

٢ - الترمذيّ، سنن الترمذيّ، حديث رقم: (٢٥١٦)، وصححه الألباني

٣ - مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم: (١٠٩ - ١٠٤٤)

- للزكاة أبعاد إنسانية حيث تعتبر: (نظامًا للضمان الاجتماعي الإسلامي: شامل وأصيل، وفريد متميز، يحوز بجذوره الدينية وبأحكامه الرائدة قصب السبق على أنظمة التكافل والتأمين الاجتماعي المعاصر جميعا)[1].

- يرى كثيرٌ من المفكرين الاقتصاديين المسلمين:(أن الدولة لو طبقت الزكاة بشكلها الحقيقي لما كان على مال الناس من فريضة غيرها في غير الظروف القاهرة، ولاستوعبت وزارات بأكملها لخدمتها منها وزراة المالية، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ووزارة التأمينات)[2].كما يمكن لعلماء الشريعة بتفعيل دور الزكاة القيام بأدوار ذات جدوى في التخفيف النفسي على المصابين بكارثة ما من خلال أمور منها:

١. ربط الناس بواقعهم للعمل والسعي بطلب الرزق، وعدم الركون للكارثة التي بدورها تؤدي إلى ضيق وشدة.مما يؤكد ضرورة إخراج الناس من دائرة القلق والخوف اللذان قد يسيطران على النفوس.

٢. منع التجاوزات في المعتقد فالنفوس الضعيفة قد تغفُل عن ماهية الدنيا، فإذا وقعت الكارثة، انطلقت بالتساؤلات التي لا تُجدي نفعًا، ومن ذلك: قولهم: لماذا يحلّ بنا الكارثة؟. وقولهم: نحن نعبد الله، فلماذا لم يُنقِذنا؟ أو: لماذا يعذبنا؟. وغير ذلك مما يجد المسلم جوابه عند العلماء واضحا بالأدلة.

٣. دفعُ الناسِ إلى تقديم الواجب، من الدعم المادّيّ والمعنويّ. ويكون العمل التطوعي .

٤. الاستعانة بأرباب المال بطريقة شرعية، وليس بسندات القبض، مما يؤدي إلى إفقار المجتمع، وعدم تعافيه لاحقا.

وتناول الكارثة من عدة جوانب يؤدي إلى المنطقية في التعامل معها، فلا يعني التسليم لها وأن تقعد بالمجتمع حيث يعيش كابوس الكارثة قبل وبعد وقوعها فليس ذلك من الدين الإسلامي بمكان، وبالمقابل فإنه لا ينبغي المصير إلى الرؤية المجردة على ظاهر المادة.

وأود أن أنقل كلاما لأحد المثقفين يتكلم عن الكارثة بمنطقية تتناسب والسياق:

(ماذا يَضير البشرية حين تعتقد بأن الزلزال – وهو ظاهرة طبيعية جيولوجية تنشأ عن حركة طبقات الأرض–، له جانب آخر غيبي، خاصة أن هذا الجانب الآخر يستلزم صلاح الإنسان على وجه الأرض، وأن هذا الصلاح يعتبر جهدا وقائيا يمكن أن يقلل من حدوث الزلازل خاصة أنه لا توجد حتى الآن أي طريقة تنبيئية أو وقائية من الزلازل؟. وماذا يضيرنا لو أصلحنا أنفسنا وسلوكياتنا لكي تصلح معنا وبنا بيئة الأرض التي نعيش عليها سواء كان ذلك بدافع ديني (لدى المؤمنين) أو بدافع دنيوي (لدي الدنيويين). ولماذا نلجأ إلى اختزال رؤانا للأحداث على الرغم من أن العلم الحديث قد أثبت للمؤمنين وغيرهم أن كل الظواهر تقريبا متعددة العوامل والمستويات)[3].

وإذا كانت الناحية النفسية ذات أهمية فإنه لا يمكنها إثبات جدواها من غير التحرك على الصعيد الماديّ:

المطلب الثالث: الزكاة في مواجهة الكوارث التي تؤثر على الناحية المادية: –جهود دائرة الزكاة الأردنية، أنموجا–:

١ - حسين عثمان عبدالله، الزكاة الضمان الاجتماعي: (١٠١)
٢ - محمدعبدالمنعم عفر ويوسف كمال، أصول الاقتصاد الإسلامي: (ج٣٨١/١).
٣ - د. محمد المهدي ، https://archive.islamonline.

إنّ سلامة البنية التحتية للمدن، يقلل كثيرا من آثار الكوارث داخل المدن، كما في الفيضانات والأعاصير، وتقلل من الكوارث في الجيوب كما في الجفاف، والزلازل حيث إنّ البناء حسب مواصفات معينة يقلل من الدمار والانهدام، والأصل في الزكاة أنها المانع من الوصول إلى الغش في التجارة والبناء، فالزكاة تجعل الإنسان يسعى للربح لينفع نفسه والآخرين وليس النفع الشخصي ولو على حساب الآخرين. وتعتبر الزكاة ذات جدوى اقتصادية في الرأسمال العام ليكون حاضرا وقت الأزمات كما في تنمية الاقتصاد مما يعين على مواجهة الكوارث كما في المفاجئة منها كالزلازل وفي المتدرجة كما في التصحر وفي المتوقعة كما في الفيضانات. فالإيواء والإمداد بالغذاء والدواء والماء كلها أعمال يشملها الزكاة.

وسيتناول الباحث ثلاثة صور تاريخية عن الكوارث وكيفية التعامل معها:

أولا: (أمر عماد الدّين زنكي، عماله إذا جاءت جائحة في الغلة أن يأخذوا الخراج على قدرها، فكانوا يأخذون خراجاً، وتارة نصف خراج، وتارة ثلث خراج، وتارة ربع خراج، وتارة لا يأخذون شيئاً إذا أمحلت البلاد)[1].

ثانيا: (فإذا جبيَ الخراج وجمع، كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد، والربع الثانى لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوّه، والربع الثالث فى مصلحة الأرض وما يحتاج إليه من جسورها وحفر خلجها، وبناء قناطرها؛ والقوّة للمزارعين على زرعهم، وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كلّ قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل، أو جائحة بأهل القرية؛ فكانوا على ذلك. وهذا الربع الذي يدفن فى كلّ قرية من خراجها، هى كنوز فرعون التى تتحدّث الناس بها أنها ستظهر، فيطلبها الذين يتبعون الكنوز)[2].

ثالثا: (وفي أول شوال اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم، على خلاف المعتاد، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين، فأما المرض فكثير جدا، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال، وغلا السكر والأمياه والفاكهة جدا، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشويش أيضا، ثم عوفي بحمد الله)[3].

ومن خلال الواقع المعاصر فإن التنافس بين الدول لتحقيق الجدوى من الزكاة يتطلب منا إلقاء الضوء على بعضها:

صندوق الزكاة الأردني التابع لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية –أنموذجا–:

جاء صندوق الزكاة الاردني ليكرس مبدأ الزكاة دون النظر للعرق والجنس واللون ، وفقا للنصوص القرانيه والاحاديث النبوية فبدأ بالفقراء والمساكين واطلق مبادرة الغارمين ونفذها واعطى ابناء السبيل دون النظر الى اصولهم او جنسياتهم بل ان قانونه وتعليماته جاءت منسجمة مع احكام الشريعة الغراء التي لم تفرق بين احد.

كما هدف الصندوق الى تقديم مساعدات للحالات العاجلة التي تستدعي التدخل السريع والنكبات والكوارث الفردية، أو إغاثة الأسر المنكوبين، بعد دراسة حثيثة من قبل الباحثين الاجتماعيين ورفع الدراسة لمجلس ادارة صندوق الزكاة لتتم الموافقه على الصرف. وفي لقاء خاص اجرته احدى المنظمات الاوروبية التي تعنى بموضوع "طلاب العلم الفقراء المغتربين عن دولهم " مع مدير عام صندوق الزكاة الاردني الدكتور عبد السميرات عن ماهية التشريعات والتعليمات التي

١ - إحسان عباس (ت: ١٤٢٤هـ) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ: (١٧١/١)
٢ - أبو القاسم المصري، عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم، (ت: ٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب (٥٣/١).
٣ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،(ت: 703هـ)، البداية والنهاية: عام: (٧٦٢-: ٣١٦/١٤).

تكفل العيش الكريم لهؤلاء الطلاب من خلال صندوق الزكاة، اوضح السميرات ان الصندوق يساعد كل فقير مسلم على الاراضي الاردنية ، سواء اكان طالب علم او وافد اجنبي او مقيم لايحمل الجنسية الاردنية من غير اللاجئين ، فالصندوق يدفع مساعدة شهرية مقدارها (١٠) الاف دينار لـ(٢٠٠) طالب علم شرعي من الدول الفقيرة ، ويقدم مساعدات طارئة للأشخاص الفقراء من دول عربية واسلامية كونهم يندرجوا تحت مصرف من المصارف الثمانية التي ذكرها الشرع: عابري السبيل، واضاف السميرات إن الصندوق يهدف إلى تعظيم فريضة الزكاة وإحيائها من خلال تقديم الخدمة المثلى للمزكين والتوزيع العادل لأموال الزكاة على مستحقيها إضافة إلى تذكير المسلمين بحكمة فريضة الزكاة ومشروعيتها وحثهم على وجوب أدائها وتعريفهم بمقاصدها ، فالزكاة حق لمن كان داخلاً في عموم المسلمين.

والزكاة تدعو إلى الاستثمار ضمن الضوابط الشرعية مما يؤدي إلى إعادة الإعمار ومن خلال الدعم بين دول العالم، ويعتبر صندوق الزكاة أنموذجا رائدا في التطور نحو استغلال أموال الزكاة على وجه يعود بالنفع على المستحقين، وذلك ضمن المساحة المتاحة له داخل الأردنّ، مع أن الأمر يتطلب تشاركية أكبر بين بلدان العالم الإسلامي[١].

ويعتبر صندوق الزكاة في تقديمه العون للمستحقين، نوع من أنواع الوقاية من حدوث الكوارث والأزمات، فإغناء الفقير وتعليمه وكسوته وإمداده في فتح المشاريع الصغيرة، وإقامة الأيام المفتوحة الطبية وتوزيع الغذاء والدواء والكشف الطبي، وخصوصا في مناطق الجيوب الجغرافية، كل ذلك يعطينا أبعادا لهذا الصندوق ويضع بين أيدينا أنموذجا يحقق الشيء الكثير، مع أن أمامه الشيء الكثير أيضا، وأهم أمر ينبغي تحقيقه لأي صندوق وفي أي بلد: الثقة عند الناس.

ويمكن للجدول الآتي[٢]، أن يضع الجهود التي حققها صندوق الزكاة على مدى عشرين عاما في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين:

صندوق الزكاة الأردني التابع لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية –أنموذجا–:

١ - يعتبر هذا المؤتمر الدولي الذي يعقد في مملكة البحرين، واحدا من سبل التطوير لصناعة الاستثمار في صندوق الزكاة عالميا.

٢ - الجدول من كتاب: وقائع الإنجازات. الذي قامت وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن بإعداده في مناسبة عشرين عاما: ١٩٩٩-٢٠١٩م. على استلام الملك عبدالله الثاني ابن الحسين سلطاته الدستورية.

عام	م. اللجان	المساعدات الشهرية	المساعدات الطارئة	الحقيبة المدرسية	الطرود الغذائية	كسوة العيد	المشاريع التأهيلية	الطالب الفقير	اليتيم الفقير	العيديات	للغارمات / الغارمين	المريض الفقير	كفالة الايتام	الزكاة المشروطة	الخبز الخيري	موائد الرحمن	أخرى	المجموع
1999	2913316	366570	122902	49493	122231		25974	0					142176	1071000		25400	119200	4958262
2000	2695998	626055	128750	0	0		7151	0					235000	1041000	0	0	72604	5806558
2001	4851821	370295	51001	14027	47467		15486	0					202375	1209000	0	0	27051	6788523
2002	4705525	393090	131373	4520	40050		0	7200					167948	1088608	0	0	43910	6582224
2003	4619847	471673	255627	1272	22915		50370	0					164126	1360277	33863	13588	5850	6999408
2004	6412627	553019	276093	12906	18044		46445	4200					153417	1292505	51778	27032	13303	8861369
2005	6849175	611546	186530	10658	61308		56643						189965	801293	53298	26501	0	8846917
2006	9387170	707688	104984	21392	52802		208519					960	276945	1421651	63536	33000	0	12278647
2007	11433020	1125030	192619	24900	72148	75230	178355					0	321314	1401205	63643	33350	0	14920814
2008	9924836	1493863	189620	46462	154595	186360	461618					3634	471230	1886155	64080	43500	0	14925953
2009	20794601	1532620	193100	57030	70983	77800	271092					5485	455755	2393638	66651	47640	0	25966395
2010	13337727	1671375	206360	63690	333740	141560	241615					9327	613961	3250636	68127	45355	0	19983473
2011	20703846	1933430	184244	52162	2370199		210682	38200				9354	934356	2364508	84295	198405	0	29083681
2012	19699861	2232223	62154	65870	1455455		249704	30355	32100			9544	1128870	3619471	93403	51561	0	28730571
2013	20370185	2499100	78509	99832	118370		123072	34150	28550			8056	1351370	3041972	95755	10186	0	28924107
2014	24269490	2759407	35215		1813340		191027	36650	19875	143730		305762	1252772	3164100			0	33991368
2015	21224151	2249034	66877		457308		90025	22783	21450	182650		4023	1200626	3390420			0	28909347
2016	27822862	1416620	39850		41234		135843	5600	8150	190530		2260	1170513	3389453			0	34222915
2017	20238934	1185240	25301	92704	451875	345100	154997	61050	72728	315125	204342		1030938	2474370			0	26720135
2018	15578367	1573035	77124	300129	339442	375700	283338	103800	97700	623650	111445		1223372	2090391			65000	23005470
2019	0	786135	51080	917047	79350		66181	55200	59100	209050	3669347						0	4975443
المجموع	268833359	26557048	2659313		9187856	1201750	3068137	399188	339653	1664735	3985134	358405	12687029	41751653	738429	555518	346918	375481580

نتائج الدراسة:

يخلص الباحث إلى ما يلي

- الكوارث بأنواعها: آثارها السلبية أشدّ فتكًا، والعمل الإنسانيّ الجميل، يزيل الصورة المؤلمة.
- موقف علماء الشريعة، إيجابي من خلال تفاعلهم مع القضايا العامة للإنسانية.
- وحدة الحال، مما يمكن أن تزيد من التواصل بين الأمم، في واحدة من أبواب الحوار.
- اهتمام الشريعة الإسلامية، بالظواهر والكوارث، وأنها تتعامل معها بواقعية.
- جهود الأمم بعد التقارب الأخير، له أبعاد إنسانية، بلا حدود.

ما ينفقه العالم على الإصلاح الناجم عن الكوارث بأنواعها، يجعلنا نتأمل عدم استحداث حروب.

التوصيات:

وهذه التوصيات منبثقة عن الشريعة الإسلامية، ذات الأبعاد الشمولية:

١) طلب الدعاء من كل أحد، لمنع تفاقم الكارثة. حتى يكون إشراك الحيوان في التعرض للرحمة، كما في صلاة الاستسقاء، حين الجفاف.

٢) إعداد فرق الطوارئ في كل مسجد، ليكون العمل منسّقً حال حدوث أيّ طارئ.

٣) نبذ الخزعبلات، كما في تحريك جبل المقطم في مصر، زمن الحاكم الباطني، قبل ثمانية قرون.

٤) الفزع المباشر وهو من فعل النبيّ صلى الله عليه وسلم، حيث فزع إلى صوتٍ ناحية المدينة المنورة، وكان أول من فَزَع. وفي زماننا تعزيز قدرات المنقذين، ليكونوا على استعدد تام.

٥) العلاج النفسي ، خطبة الجمعة فاصل وواصل بين كل أسبوعين وهي تعالج كل مستجدات الأسبوع.

٦) وضع آلية دولية، لإتاحة الفرصة للشعوب في جمع التبرعات، على جناح السرعة. وذلك لأمرين:

١) منع استغلال جمع التبرعات لتغذية أيدلوجيات. مما يؤجل أحيانا كثيرة الفسح لذلك التبرع.

٢) إيصال التبرعات لمستحقيها.

الخاتمة:

إنّ البشرية يلزمها التماسك، والتنسيق الجادّ المستمرّ، لمواجهة تحديات العصر، التي تعتبر أصيلةً في كلّ عصر. والديانات والمبادئ لا تمانع من مدّ يدِ العون، لكلّ مكروب، والدليل أنه حينما اجتمعت الأمم، على اختلافها وتضادّها، إلا أنها نجحت في التواصل فيما بينها لعمليات الإنقاذ، وإغاثة المنكوبين، وحماية اللاجئين، وإمداد النازحين، وحماية الأسرى، ونقل المستشفيات المتحركة، والعناية بالتعليم والتثقيف لكيفية التعامل مع المستجدات، من الكوارث البيئية، وغيرها.

ووجود الكوارث، لا يعني التسليم لها والرضوخ تحت أنقاضها، فيلزم العقلاء العمل على إزالة أنقاضها وآثارها. وتجاوز الكوارث بأقلّ الخسائر، وأما نشر العداء بين الإمم فهو الكارثة الأكبر على مرّ التاريخ. وللأسف البناء أصعب من الهدم، وللأسف – أيضًا- هناك خفافيش الظلام، لا تعيش إلا بظلم الناس، من خلال استحداث الكوارث، والعبث بمقدرات الأمم، وتصنيع الدمار. ومع أنّ هناك مخلصون يعملون ويجتهدون، إلا أنّ العابثون باقون!! وتلك كارثة.

الفهرس:

المبحث الأوّل : التعريفات بالكوارث الطبيعية من منظور شرعي:

المطلب الأول: التعريفات اللغوية والاصطلاحية

المطلب الثاني: التعريف بالكوارث من منظور شرعي:

المطلب الثالث: خطورة الكوارث والأزمات في البناء الإنساني -الحالة الأندونيسية أنموذجا-:

المبحث الثاني : شمولية الزكاة وأهميتها في مواجهة الكوارث والحدّ من خطورة آثارها:

المطلب الأول: خطورة الكوارث والأزمات في زعزعة البناء الإنساني:

المطلب الثاني: دور الزكاة في مبدأ التراحم وأثر ذلك في منع الكوارث:

المطلب الثالث: موقف علماء الشريعة من التنبؤات بالكوارث والأزمات وكيفية بناء الفكرة الوقائية لها:

المطلب الرابع: النصوص الشرعية للحدّ من حدوث الكوارث أو تفاقم سلبياتها:

المبحث الثالث: أنواع الكوارث والأزمات والإجراءات الشرعية تجاهها:

المطلب الأول: أهمية دراسة الكوارث من الناحية النظرية التحليلية

المطلب الثاني: التأصيلات الشرعية لمواجهة الكوارث –الزكاة أنموذجا–

المطلب الثالث: أثر الضوابط الشرعية في منع الصناعات الثقيلة من كورثة الأرض

المبحث الرابع: دور الزكاة في مراحل مواجهة الكوارث والأزمات:

المطلب الأول: منهج الإسلام في ضمان جودة الإنتاجية

المطلب الثاني: جهود الزكاة في مواجهة الكوارث التي تؤثر على الناحية المادية

المطلب الثالث: الزكاة في مواجهة الكوارث التي تؤثر على الناحية المادية: –جهود دائرة الزكاة الأردنية، أنموجا–:

المراجع:

١) أبو القاسم المصري، عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب.

٢) إحسان عباس، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ.

٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية.

٤) أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد.

٥) البنك الدولي، إدارة مخاطر الكوارث من أجل تنمية تتسم بالمرونة: www.albankaldawli.org

٦) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي.

٧) تقرير صادر عن المجموعة الاستشارية العلمية والفنية التابعة لإلستراتيجية الدولية للحد من الكوارث – ٢٠١٣، تحت عنوان: (توظيف العلم في الحد من أخطار الكوارث ملخص تنفيذي).

٨) الحسن بن طلال، سمو الأمير، مقال بعنوان: الزكاة والعمل الإنساني، تم نشره في الأحد ٢٢ أيار / مايو ٢٠١٦م. https://www.addustour.com/articles.

٩) حسين عثمان عبدالله، الزكاة الضمان الاجتماعي.

١٠) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود.

١١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط.

١٢) الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري، كتاب العين.

١٣) العبدالجبار، عبد الحميد، ود. بندر المشاري، مجلة الفيصل العلمية عدد: مارس/ ٢١٠٨م: عوامل بروز علماء الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبيعية.

١٤) القسطلاني، أحمد بن محمد أبو العباس، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.

١٥) ابن ماجه، محمد القزويني، سنن ابن ماجه، باب: العقوبات، حديث رقم: (٤٠١٩).

١٦) ابن منظور، محمد بن مكرم بن عليّ، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب.

١٧) البخاريّ، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ.

١٨) محمدعبدالمنعم عفر ويوسف كمال، أصول الاقتصاد الإسلاميّ.

١٩) محمد المهدي ، https://archive.islamonline.

٢٠) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم.

٢١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.

٢٢) الملخص التنفيذي للدراسة: بينالبنك الإسلامي للتنمية، و:(سيسرك) مركز البحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للبلدان الإسلامية، دراسة مشتركة.

٢٣) هيوغو: ٢٠٠٥ –٢٠١٥م: بناء قدرة الأمم والمجتمعات على مواجهة الكوارث، من إصدارات: الأمم المتحدة نيويورك وجنيف، ٢٠٠٨م.

٢٤) http://mapecology.ma، وكالة المغرب العربي للأنباء.

٢٥) موقع دائرة الإفتاء الأردنية.

٢٦) الفَتَّنِي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الكجراتي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار.

٢٧) موقع المعاني: (http://www.almaany.com/)

٢٨) موقع: المنظمة الأمريكية لمهندسي السلامة.

٢٩) وقائع الإنجازات. الذي قامت وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن بإعداده في مناسبة عشرين عاما: ١٩٩٩–٢٠١٩م. على استلام الملك عبدالله الثاني ابن الحسين سلطاته الدستورية.

تمت.